لا تجعل راحتك علي تعب الآخرين

كل إنسان يبحث عن راحته. ونحن لانلومه علي هذا. لأن من حقه الطبيعي أن يعيش في راحة. إنما النصيحة الجوهرية التي نقولها له هي هذه: لاتكن راحتك علي تعب الآخرين.. لأنك لو سلكت هكذا. فسوف تسلك في أسلوب أناني. هو تركيز علي الذات. وفي نفس الوقت سوف تخسر كثيرين.. وسنحاول هنا أن نضرب أمثلة لمن يسلك هكذا.

****

*** نبدأ أولاً بموضوع الحرب والاحتلال**

دولة تريد أن تتسع رقعتها بغير حق. فتقوم بالإغارة علي غيرها. لكي تحقق اتساعها باحتلال أراضيه. وذلك عن طريق الحرب وما فيها من إزهاق أرواح. وتهديم المباني. وتدمير كل مناطق التنمية. أو عن طريق الحصار الاقتصادي وما يتبعه من مجاعات وأمراض. وفي كل ذلك. لاتبالي بمعاناة الدولة الأخري التي تقاسي نتائج هذا الاعتداء.

وأحياناً لايكون غرض الدولة المعتدية. أن تحتل الأراضي. إنما أن تغتصب الثروات الطبيعية. كالتوابل في الهند. أو البترول في البلاد العربية. والغرض واضح. وهو أن تجعل راحتها علي تعب غيرها وتاريخ الاستعمار حافل بأمثلة عديدة جداً.

****

*** مثال ذلك أيضا من يستخدم الضغوط للوصول إلي غرضه**

قد يكون هذا بالضغط علي إرادته. لكي ينفذ ما لايريد. أو قد يستخدم أحياناً الإلحاح المتعب. الذي يشكل ضغطاً علي الأعصاب وعلي الأذنين. وقد يكون الضغط مباشراً. أو عن طريق وسطاء. أو يكون ضغطاً علي ضميره. بتهديده بإيقاعه في مسئولية معينة أو في تهمة تلفق له!!

المهم أن يصل مثل هذا الإنسان إلي غرضه بكثرة الضغوط. ولايهمه مطلقا شعور من يضغط عليه. ولاتعب أعصابه. ولا تعب ضميره. وتعب فكره. وتعب إرادته. ومقاساته النفسية!

****

*** وما أكثر المشاكل الزوجية أو المشاكل العائلية. التي سببها من يجعل راحته علي تعب غيره!**

مثال ذلك: الزوجة التي تطلب من زوجها طلبات فوق طاقته المالية. فإما أن ترهقه مالياً. أو تضطره إلي الاقتراض. أو إلي الديون. أو أن يقول لها ليس معي. وحينئذ تندب حظها العاثر في أنها تزوجت رجلاً ليس معه ما ينفقه عليها! وهكذا تجرح شعوره. ولاتبالي بسبب رغبتها في تحقيق طلباتها! ونفس الكلام أيضاً ينطبق علي الابن الذي يطلب من أبويه ما هو فوق طاقتهما. والمواطن الذي يطلب من الدولة ما هو فوق طاقتها..!

****

*** المدخنون أيضا يجعلون راحتهم علي تعب غيرهم**

ينفخ الشخص منهم دخان سيجارته فيمن حوله. فيؤذيهم صحياً بذلك ويضايقهم. وبخاصة لو كان في مكان مغلق. في أتوبيس أو في حجرة. أو في عيادة طبيب! وينطبق علي ذلك أيضاً المدخنون من

الأزواج. إذ يؤذي أسرته بدخانه. وكذلك أصحاب المصانع التي تعكر الجو بدخانها في مناطق سكنية. وكذلك العربات التي تنفث في سيرها دخاناً.

****

*** مثال آخر: من يقيم حفلة ساهرة صاخبة بميكروفونات تنقل الصوت عالياً عبر عدة شوارع!**

ويستمر ذلك إلي ما بعد منتصف الليل. في صخب وضوضاء. ولايبالي في ذلك بحاجة المريض المحتاج إلي نوم. والتلميذ الذي يلزمه الهدوء للمذاكرة. ولا يهمه من يفقدون حريتهم في القراءة أو في الحديث أو في الاستمتاع بوقتهم. المهم سروره هو بحفلته! ومثله من يفتح ترانزستور في أتوبيس أو قطار..

****

*** وبالمثل من يتعب غيره بمكالمات تليفونية قد تطول!**

يطلب غيره تليفونياً في أي وقت.. وقد يكون نائماً. أو علي مائدة الطعام. أو عنده ضيوف يتحدثون إليه. أو يكون منشغلاً بعمل هام يجب أن يقوم به.. ويظل هذا الإنسان يتكلم ويتكلم. دون أن يسأل الذي يسمعه هل لديه وقت لسماعه أم لا. بينما اللياقة تقتضي أن يسأل.. ولكنه لايبالي بشيء من هذا كله!!

****

*** نفس الوضع في الزيارات التي بلا موعد!**

زيارة من صديق أو قريب. بدون موعد. بحجة أن الدالة أو المحبة لاتستدعي كلفة في السؤال عن موعد ويدخل هذا الزائر. ويجلس ويتكلم. وقد تطول الجلسة. وصاحبه يخجل من أن يقول له إنه منشغل. أو كان علي وشك الخروج لمهمة معينة وعاجلة. ويكون هذا الضيف جالساً في بيت صاحبه أو في مكتبه. وكأنه جالس علي أعصابه! ولايبالي. لأنه مستريح بالزيارة!

****

*** مثال آخر: من يجد لذته في التهكم والسخرية بغيره!**

يتخذه مجالاً للضحك والتفكه والتسلية. ويفعل ذلك أمام الناس. ويشركهم معه في السخرية. غير مبال بجرح مشاعر ذلك الشخص. وجعله أضحوكة! وبخاصة لو كان الشخص موضوع السخرية. لايستطيع الدفاع عن نفسه. أو يحتشم من ذلك. لأن الذي يتندر عليه أكبر منه سناً أو مقاماً! هذا الساخر يجد راحته في تعب غيره!

****

*** هناك أشخاص يريدون أن يتكلموا في موضوعات لا يستريح لها سامعوهم!**

فيقصون أسرار أناس آخرين ويمسكون سيرتهم. ويتحدثون عن أخطاء قد حدثت. أو مشاكل وقعوا فيها. أو يجدون لذة في ترديد فكاهات بذيئة تجرح حياء سامعيهم. أو يفتحون أذهانهم لمعرفة أمور جديدة عليهم. من الخير لهم ألا يسمعوها..! ومع ذلك هم يريدون أن يتكلموا. ولو اتعبوا السامعين وشوهوا أفكارهم. ولو صبوا في آذانهم معلومات مؤذية لهم!! وقد يحاول السامع أن يهرب. ولكنهم يضغطون بالكلام. لأنهم يجدون راحتهم في الحديث. شاء السامع أو لم يشأ!!

****

*** نقطة أخري. هي موضوع التبرج والفتنة!**

إنسانة تقف طويلاً أمام المرآة قبل أن تخرج. ولاتفارق المرآة حتي ترضي تماماً عن نفسها. أنها صارت في منتهي الفتنة! وأن كل من يراها يعجب بها وتستهويه! ولايهمها في كل ذلك أنها تعثر غيرها أو لاتعثر. المهم عندها راحتها النفسية في أن تكون موضع الاعجاب. ولو تعب الذين يعجبون بها..!

يدخل في هذا المجال أيضاً المتزينات في بعض حفلات الزواج بحيث تبدو الواحدة منهن أجمل وأشيك من العروس نفسها!! وتلبس ملابس فوق مستوي الكل. وتتحلي بحلي لاتتحلي به أية امرأة أخري! بحيث تجذب كل الأنظار إليها. ولو ألغت وجود غيرها! هذه أيضا تبحث عن راحتها علي تعب الغير.

****

*** مثلها من يحاول أن يبني نفسه بهدم غيره**

لايكتفي بأن يكون ناجحاً في عمله. وإنما يحب أن يظهر أنه أكثر نجاحاً من غيره. بأن يحطم كل ما أدركه الغير من نجاح ومن إنجاز. شارحاً ما في ذلك الغير من عيوب ومن نقص!

فهو لايريد فقط أن يكون الأول. إنما بالأكثر أن يكون الوحيد! وأن تخلو الساحة من الكل. ليبقي وحده فيها! وبعض من هذا النوع يحب أن يلغي حتي التراث الماضي. لكي يقدم مفهوماً جديداً ينفرد به وينسب إليه. وكأن كل من سبقوا ما كانوا يفهمون ما وصل إليه من فهم!! ومن هنا ظهر المبتدعون. الذين بدلاً من الابتداع تحولوا إلي البدعة!!

****

*** ويشبه هؤلاء من يريدون احتكار المواهب**

فلا يسمح أحد منهم لغيره بالظهور. لكي يبقي وحده في الصورة. مثل الأستاذ في الجامعة الذي لايعطي المعيد فرصة ولا شهادة إلا بشق الأنفس.. وفي نفس الإشكال يقع غالبية الناشئين: فلا فرصة سهلة لفنان ناشيء. ولا لمخترع ناشيء. ولا لكاتب ناشيء. لأن الكبار يريدون احتكار العبقرية ذاتها بلا منافس! ويجدون راحتهم في أن يخلو الجو لهم.. ويدخل في هذا المجال. من يحتكر الكلام في اجتماع ما. ولايعطي فرصة لغيره لأن يتكلم..

****

*** ومن أمثلة الراحة علي تعب الآخرين: الزوج المتصف بالغيرة الذي تصبح غيرته جحيماً لزوجته**

هذا الذي من أجل غيرته علي زوجته. يكاد يحبسها في البيت. لايراها أحد. ولاتتكلم مع أحد. ولاتضحك بسبب فكاهة قالها الغير. حتي لو كانت فكاهة تضحك الحجر!. وإلا فإنه يقيم الدنيا ويقعدها.. كأنما اشتري عصفورة جميلة. وحبسها في قفص. حتي إن غنت داخل القفص. لايشاء إلا أن يكون غناؤها له وحده! وهكذا يجعلها تكره الحياة بسبب تضييقه عليها. وإن جادلته أو عاتبته. يقول: هذا هو الذي يريحني.. نعم. قد يكون هذا يريحك. ولكنه تعب لزوجتك.

نفس الكلام نقوله علي الزوجة التي تغار بنفس الأسلوب علي زوجها. وتضيق عليه في كل علاقاته.

****

*** مثال آخر في الراحة علي تعب الآخرين: الزحام**

سواء كان الزحام في المكان. وتزيح غيرك لتأخذ الموضع لنفسك. أو تجهد أن تأخذ المتكأ الأول لنفسك بدلاً من غيرك. أو قد يكون الزحام في التنافس حول الوظائف والمناصب. حيث يريد شخص أن يزيح الآخر من مكانه - ولو كان أحق منه - لكي يحل محله. أو يأخذ درجة أو علاوة بدلاً منه. ولو بتقديم شكوي ضده. أو إشاعة المذمة فيه. أو يتسبب في فشله كي يضيعه. ويدخل في المنافسات أيضا المضاربات في الأسواق.. ونحن لانقول إن كل منافسة خاطئة! كلا طبعاً. بل نقصد التنافس الذي يلجأ إلي طرق خاطئة للتخلص من الغير. بتحطيمه لكل يخلو الجو منه. بأسلوب لايستريح له الضمير.

****

*** يدخل في موضوعنا أيضا نظرية "كبش الفداء"**

حيث تحدث مثلاً سرقة في شركة. المسئول فيها أحد كبار رجال الإدارة. فيقدم موظفاً بسيطاً أو عضواً منتدباً. لكي يحمل المسئولية كلها. ويركز الاتهام عليه ككبش للفداء. بينما يتبرأ الجناة الحقيقيون. وينالون راحتهم بتعب غيرهم!! وبنفس الوضع محاولة التخلص من مسئولية أي خطأ. عن طريق إلصاقه بآخر. كذلك من يتهم غيره لينجو هو!

****

*** مثال آخر: هو الغضب والنرفزة**

إنسان مثلاً قليل الاحتمال. أو أعصابه تعبانة: ينفّس عنه ضيقه. بأن يصب غضبه علي الآخرين كلاماً أو كتابة. أو يثور ويتهور لكي يستريح من مشاعره الثائرة داخله.. وإن عاتبته. يقول: لم استرح إلا بعد أن تصرفت هكذا..! ولكنها راحة مبنية علي تعب غيرك!

****

*** نقطة أخري: وهي إتعاب الغير للحصول علي معلومات منه!**

سواء من أشخاص محبي الاستطلاع يحبون أن يعرفوا أسرار غيرهم. أو في تعذيب أسري للحصول منهم علي أسرار وطنهم.. أو الضغط علي بعض المتهمين أو الشهود للحصول علي معلومات في حادث معين. أو بطريقة الإلحاح علي الغير والأسئلة المتواترة لكي يفشي سراً لايريد أن يقوله. ومضايقة كل هؤلاء أو عصرهم عصراً لاستخراج مافي داخلهم من معلومات فإن وصل هؤلاء إلي غرضهم. يستريحون. ولكن علي تعب غيرهم.

****

*** الاحتكار في الأسواق. والربا. والسوق السوداء**

وكل محاولات الكسب الحرام. والهروب من الجمارك والضرائب. والرشوة للوصول إلي غرض معين.. والأجور الزهيدة للعمال ليحصل صاحب العمل علي أكثر ربح.. كل ذلك يدخل في موضوع: الراحة التي تبني علي تعب الآخرين.